11. البنيوية

تمثل النظرية البنيوية أو البنائية **(structuralisme)** نزعة علمية في دراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية، فبعد الوضعية تحاول البنيوية دراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية بموضوعية علمية تجعل منهاتجيب بالتأكيد والايجاب على سؤال المنهج في العلوم الانسانية، من حيث امكانية دراسة الظواهر الانسانية بمناهج علمية موضوعية. لكن البنيوية تختلف في الأسلوب عن الوضعية، فهي تحاول دراسة هذه الظواهر كبنى ، مفككة اياها لاجزاء ، لفهم الكل. وبهذا يتم الانتقال من الجزء الى الكل ، وهو عينه منهج الاستقراء العلمي. ومنه أيضا تسميتها بالبنيوية، لانها في النهاية تتعامل مع بنى وأجزاء وأنساق وانظمة، تنخرط كلها تحت وحدة "البنية". لكن لا تتعامل مع البنى بالمفهوم المادي هنا، بل بالمفهوم الفكري.

فالبنيوية هي اذا تيار فكري متعدد التخصصات، ساد في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الفترة ما بين الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي، محللا الظواهر ليس بشكل منفرد، بل كعناصر ضمن نظام. وهي تركز على البنى الكامنة (اللاواعية) أكثر من الأفراد، من حيث أنها تبحث عن الموضوعية واستبعاد الذاتية، وعلى التزامن (الحالة الثابتة) وتفكيك الأجزاء وجمعها، أكثر من البعد التاريخي.

برزت البنيوية كتيار فكري من خلال أعمال عدة مفكرين ومنظرين في عدة مجالات فكرية أبرزهم:

• في مجال الألسنية واللغويات: يعتبر فرديناند دي سوسير الأب الروحي المؤسس للتيار البنيوي، وعلم اللسانيات، ففي كتابه «دورة في اللغويات العامة» (1916) يعرض مفهوم اللغة كنظام من الإشارات.

• الأنثروبولوجيا: كلود ليفي-ستراوس يعد الشخصية الفكرية والفلسفية الأبرز في هذا التيار، حيث طبق النموذج البنيوي على دراسة الأساطير والثقافات وعلاقات القرابة وما يتبعها في المجتمعات البدائية.

• التحليل النفسي: يبرز اسم جاك لاكان، بفكرته القائلة بأن «اللاوعي منظم كلغة»، وانه بنية تحتاج تفكيكها لفهم نظامها الكلي.

• الفلسفة: يبرز اسم ميشيل فوكو -رغم رفض هذا التصنيف، وكدا لويس ألتوسير. وفي المدى العربي يبرز محمد عابد الجابري بنظريته عن بنية العقل العربي، وكذا محمد أركون الذي يتحدث عن العقل الاسلامي.

• الأدب: في الأدب تبرز أعمال "رولان بارت" ، التي تظهر فيها النزعة البنيوية.

مبادئ البنيوية الأساسية :

المبادئ الأساسية التي تتشكل منها البنيوية، هي القول بأولوية البنية، وأن البنية تضم عناصر داخلها، والتي لا تكتسب (الكلمات، الأساطير، السلوكيات) معناها إلا من خلال علاقاتها مع العناصر الأخرى ضمن كلٍ منظم، وهو البنية، وليس في حد ذاتها.

كدلك يسعى الباحثون البنيويون إلى الكشف عن القوانين الخفية (اللاواعية) التي تنظم العالم الاجتماعي والثقافي.

وتتبنى البنيوية منهج تفكيك البنى، بعيدا عن ابعادها التاريخية، وهو أمر يشبه معالجة الظواهر المادية في المخابر موضوعيا، حيث تتم الدراسة في لحظة معينة من النظام، على غرار لعبة الشطرنج . حيث ينطلق هذا التحليل البنيوي من فرضية وجود بنية أساسية لا يدركها الفاعلون.

أين يكون موقع القطع أكثر أهمية من تاريخها. وتهدف البنيوية بعدها –مثل كل منهج علمي - لايجاد القوانين الناظمة التي تسير تلك البنى، ويتعلق الأمر هنا ببناء نماذج نظرية مجردة لتفسير الظواهر الانسانية والاجتماعية.

تمثل البنيوية اذا محاولة لدراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية بمنهج علمي ، بدأ بتفكيك البنى والانظمة الاجتماعية الى اجزاءها، لمحاولة فهم كل جزء على حدى، بما يسمح بالوصول الى نمادج تفسيرية (قوانين علمية) للكل، أي البنى. وهي في هذا السياق تمثل اجابة بالتأكيد على امكانية تطبيق المنهج العلمي على الانسانيات والاجتماعيات.